

الحلقة الثانية

من كتابات الرسل الأوائل

برنامج أنوار كاشفة

نرحب بك صديقي المستمع في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. يسرنا أن نقدم الحلقة الثانية من السلسلة الجديدة وهي تحت عنوان: من كتابات الرسل الأوائل. لقد دَوّن رسل المسيح الأوائل رسائل عديدة، شرحوا فيها الحقائق والتعاليم المسيحية، ووضعوا لجماعة المؤمنين أسس مبادئ السلوك المسيحي.

كيف بإمكان الإنسان أن يضمن بعد موته دخوله إلى دار النعيم في السماء وأن يحوز على الحياة الأبدية؟ هناك عدة إجابات عن هذا السؤال الهام، لعلّ الأبرز منها أن على الإنسان أن يقوم بالكثير من الأعمال الصالحة، وأن يؤدي الفرائض الدينية من صلاة وصوم وزكاة وحج وجهاد. هذه الأمور جميعها أي الأعمال الصالحة الكثيرة والفرائض الدينية لا تضمن له الدخول إلى دار النعيم، لكنها قد تساعد على نوال رضى الله وبالتالي الدخول إلى السماء. والسبب لأن الإنسان بطبيعته يفعل الشرور، فإذا رجحت كفة الصلاح على كفة السيئات يحوز على الحياة الأبدية.

وهناك رأي آخر يقول: أن الاستشهاد في سبيل الله هو الذي يضمن بالتأكيد دخول المرء إلى دار النعيم. ولهذا نرى الشباب يتحمس للذهاب إلى ساحات القتال تحت راية الدين لكي يفوز بالجنة. فما هي صحة كل تلك الإجابات على ضوء كلمة الله الحيّة كما جاءت في الكتاب المقدس؟ أجابنا الرسول بولس بأن قدّم لنا مثلاً حياً من إبراهيم أبي المؤمنين. فكتب قائلاً:

«فَمَاذَا نَقُولُ إِنَّ أَبَانَا إِبْرَاهِيمَ قَدْ وَجَدَ حَسَبَ الْجَسَدِ؟ لِأَنَّهُ إِنْ كَانَ إِبْرَاهِيمُ قَدْ تَبَرَّرَ بِالْأَعْمَالِ فَلَهُ فَخْرٌ، وَلَكِنْ لَيْسَ لَدَى اللَّهِ. لِأَنَّهُ مَاذَا يَقُولُ الْكِتَابُ؟ «فَأَمَّنْ إِبْرَاهِيمُ بِاللَّهِ فَحُسِبَ لَهُ بَرًّا». أَمَّا الَّذِي يَعْمَلُ فَلَا تُحْسَبُ لَهُ الْأَجْرَةُ عَلَى سَبِيلِ نِعْمَةٍ، بَلْ عَلَى سَبِيلِ دَيْنٍ. وَأَمَّا الَّذِي لَا يَعْمَلُ، وَلَكِنْ يُؤْمِنُ بِالَّذِي يُبْرِئُ الْفَاجِرَ، فإِيْمَانُهُ يُحْسَبُ لَهُ بَرًّا. كَمَا يَقُولُ دَاوُدُ أَيْضًا فِي تَطْوِيبِ الْإِنْسَانِ الَّذِي يُحْسَبُ لَهُ اللَّهُ بَرًّا بِدُونِ أَعْمَالٍ: «طُوبَى لِلَّذِينَ غُفِرَتْ آثَامُهُمْ وَسُتِرَتْ خَطَايَاهُمْ. طُوبَى لِلرَّجُلِ الَّذِي لَا يُحْسَبُ لَهُ الرَّبُّ خَطِيئَةً» (الرسالة إلى رومية ٤: ١-٨). سننأمل الآن بهذه الآيات المقدّسة فابقوا معنا أصدقائي.

مستمعي الكريم، لقد تساءل الرسول بولس في بداية هذا الفصل إن كان أبونا إبراهيم قد تبرر أمام الله بأعماله الصالحة مع أنها كثيرة؟ فأجاب: إن كان إبراهيم قد تبرر بأعماله الصالحة، فإنه يستطيع أن يفتخر بها لكن ليس لدى الله. بينما في الحقيقة أن إبراهيم قد تبرر أي نال رضى الله بواسطة إيمانه فقط.

وتابع الرسول بولس شارحاً كلامه قائلاً: إن الشخص الذي يعمل يأخذ أجره عمله، وهذه الأجرة تُعطى له مقابل عمله لأنه يستحقها، ولا تقدّم له كهدية. أي أن صاحب العمل مدين له لكي يدفع أجرته. وهكذا في علاقتنا مع الله إن كنا نقوم بأعمال صالحة لإرضائه، فهذا يجعل الله مديناً لنا، وكأننا نستحق ذلك. وأضاف الرسول بولس قائلاً: بينما الذي لا يعمل لكن يؤمن فقط بالذي يبرر خطاياه، فإن إيمانه هذا يُحسب له برّاً، أي يتبرر أمام الله. وهنا استشهد بكلام النبي داود الذي طوّب الإنسان الذي يحسب له الله برّاً بدون أعماله، إذ قال: «طوبى للذين غُفرت آثامهم وسترت خطاياهم، طوبى للرجل الذي لا يحسب له الرب خطيئة».

وهنا قد يطرح الكثيرون سؤالاً هاماً وهو: هل من المعقول أن يغفر الله آثامنا ولا يحسب لنا أية خطيئة، هكذا من دون أي عمل صالح نقوم به، أي من دون أي مقابل، وبمجرد الإيمان به فقط؟ وللجواب نقول: نعم إن هذا ممكن، لا بل هو الطريق الوحيد الذي أعدّه الله لتبريرنا من الخطيئة وقبولنا أمامه.

وهكذا نستنتج أن لا صحة للإجابتين التي ذكرناهما في بداية هذا اللقاء، أن للأعمال الصالحة وممارسة الفرائض الدينية، وكذلك الاستشهاد في سبيل الله، دوراً في حصول الإنسان على تبرير الله وغفرانه لخطاياه. بل على العكس تماماً لا علاقة لهما البتة بهذا الأمر كما بيّنا من كلمات الرسول بولس قبل قليل. ولعلّ السبب الرئيس في ذلك لأننا جمعينا خطاة ونفعل الشر، ومهما عملنا من أعمال صالحة، وحتى لو قدّمنا حياتنا فيما يُزعم أنه الجهاد في سبيل الله، فإن ذلك لن ينفي حقيقة كوننا خطاة وأثمة. إن الله بحاجة إذن لكي يُنعم علينا بالغفران، وهنا تأتي أهمية دور الإيمان حتى نتبرر أمامه.

لعلّ السؤال الآن: إذا كان الإيمان له هذا الدور الأساسي لحصولنا على غفران الله لذنوبنا، وتبريرنا أمامه، لكن بماذا نؤمن؟ لقد أجابنا الرسول بولس نفسه أيضاً عن هذا السؤال عندما كتب قائلاً: «وَأَمَّا الْآنَ فَقَدْ ظَهَرَ بِرُّ اللَّهِ بِدُونِ النَّامُوسِ، مَشْهُودًا لَهُ مِنْ

النَّامُوسِ وَالْأَنْبِيَاءِ، بَرُّ اللَّهِ بِالْإِيمَانِ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ، إِلَى كُلِّ وَعَلَى كُلِّ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ. لِأَنَّهُ لَا فَرْقَ. إِذِ الْجَمِيعُ أَخْطَأُوا وَأَعْوَزَهُمْ مَجْدُ اللَّهِ، مُتَبَرِّرِينَ مَجَانًا بِنِعْمَتِهِ بِالْفِدَاءِ الَّذِي بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي قَدَّمَهُ اللَّهُ كَفَّارَةً بِالْإِيمَانِ بِدَمِهِ، لِإِظْهَارِ بَرِّهِ، مِنْ أَجْلِ الصَّفْحِ عَنِ الْخَطَايَا السَّالِفَةِ بِإِمْهَالِ اللَّهِ. لِإِظْهَارِ بَرِّهِ فِي الزَّمَانِ الْحَاضِرِ، لِيَكُونَ بَارًّا وَيُبَرِّرَ مَنْ هُوَ مِنَ الْإِيمَانِ بِيَسُوعَ»(الرسالة إلى رومية ٣: ٢١-٢٦).

إذن لكي نحصل على غفران الله ونتبرر أمامه، علينا أن نؤمن بالمخلص يسوع المسيح. لكن لماذا الإيمان بالمخلص المسيح فقط؟ لأن الله قد أرسل المخلص المسيح ليكون هو الفدية أو الكفارة عن خطية الجنس البشري بأكمله. مع العلم أن أنبياء العهد القديم قد تنبأوا عن مجيء المسيح المخلص. لا بل مهّدت أسفار العهد القديم كلها لمجيء هذا المخلص الذي سيعلن خلاص الله للبشر جميعاً، وليس لشعب واحد فقط. فيما أن جميع البشر خطاة فهم بحاجة إلى خلاص الله. وعندما أتى المخلص المسيح إلى عالمنا قدم جسده كفارة على الصليب. أي مات نيابة عنا نحن البشر الخطاة آخذاً عقاب خطايانا.

ولهذا عندما يؤمن أي إنسان أن المسيح قد مات على الصليب عوضاً عنه، حاملاً دينونة خطاياه، يغفر الله ذنوبه ويجعله باراً أمامه، أي كأنه لم يفعل خطيئة البتة. فهل هناك من عطية أعظم من هذه العطية أن يهبنا الله الغفران الكامل عن ذنوبنا، هكذا بمجرد الإيمان بالمسيح فقط وبدون القيام بأي عمل صالح. أما الأعمال الصالحة فتأتي كنتيجة طبيعية لهذا الإيمان القلبي الصادق. مع العلم أن التوبة الحقيقية عن الخطيئة لا بد أن ترافق الإيمان الصحيح.

هل تود مستمعي أن تحصل على غفران الله لذنوبك؟ لم لا تؤمن الآن بالمخلص المسيح الذي مات من أجلك على الصليب؟ وهكذا تضمن مستقبلك الأبدي ويشكل أكيد.